المحاضرة الأولى: تعريف عام بأرض فلسطين ومكانتها عند المسلمين.

1 - مكانة فلسطين عند المسلمين:

فلسطين عند المسلمين أرض مقدسة؛ فهي أرض الأنبياء ومبعثهم عليهم السلام، فعلى أرضها عاش إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحي وعيسى عليهم السلام ممن ورد ذكرهم في القرآن، كما زارها محمد صلى الله عليه وسلم، وعاش على أرضها العديد من أنبياء بني إسرائيل، ممن لم يرد ذكرهم في القرآن، عندما كانت تسوسهم الأنبياء، ومما ورد ذكرهم في الحديث الصحيح يوشع عليه السلام.

وفلسطين عند المسلمين ليست فقط مجرد أرض محتلة، بل هي جزء من العقيدة الإسلامية، وفيها مدينة القدس المغتصبة، التي ربط القرآن الكريم بين حرمها المقدس والحرم المكي، عندما تحدث عن معجزة الإسراء والمعراج، فقال سبحانه وتعالي: ((**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)).

فهي في الدين والعقيدة أولى القبلتين وثالث الحرمين، وحرمها مع الحرم المكي والحرم المدني يمثلون المساجد الثلاثة التي تنفرد بشدّ الرّحال للصلاة فيها، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**)).

والقُدس رباطها المُقَدَّس مع الحرم المكي هو الرمز (المسجد) لعقيدة وحدة الدين الإلهي الواحد، عندما ارتبطت القِبلّةُ الخاتمة - الحرم المكي - بقبلة النبوات السابقة - الحرم القدسي الشريف - وتجلت هذه المكانة المقدسة للحرم القدسي الشريف عندما عاملها المسلمون على مرّ التاريخ معاملة «الحرم» الذي لا يجوز فيه القتال، فالحرم المدني فُتِحَ بالقرآن والحرم المكي فُتِحَ سلمًا، حتى لقد دخله الرسول الفاتح صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر ساجدا على راحلته، شاكرًا لله، والحرم القدسي حرص المسلمون على فَتْحِه سلمًا وصلحًا، وجاء فتسلم مفاتيحه الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (15 هـ -

635م)، ولقد سار على هذه السُّنَّةِ صلاح الدين الأيوبي عندما استردها من الصليبين (583 هـ - 1187م) بعد ما يقرب من تسعين عاما احتكروها فيها وانتهكوا حرمتها وقدسيتها.

عندما حرّر المسلمون القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من الاستعمار الروماني - الذي دام عشرة قرون - حرصوا على أن يكون اسمها عنوانًا على قَدَاستها وقُدسيتها، فسمُّوها ((القدس)) و((القدس الشريف)) و((الحرم القدسي الشريف))، كما حرصوا بحكم إسلامهم الذي تفرد بالاعتراف بالآخرين - عقائدهم ومقدساتهم -على إشاعة قُدسيتها بين أصحاب المقدسات، فجعلوها حرما مقدسا وقدسيّا لكن أصحاب الديانات السماوية، حتى لقد كانت السلطة الإسلامية هي الضمان لمصلحة الجميع، فلم تحتكرها للإسلام، كما احتكرها الرومان لوثنيتهم - عندما كانوا وثنيين - ولمذهبهم النصراني - عندما تنصّروا - .. وكما احتكرها الصليبيون الكاثوليك - إبان الاحتلال الصليبي -، .. وكما يحتكرها اليوم اليهود ويُهَوّدونها هذه الأيام.

2 – فلسطين الأرض والتاريخ:

فلسطين؛ هي الاسم الذي يطلق على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، فهي تمثل صلة وصل بين قارتي آسيا وإفريقيا ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي. منذ عصور موغلة في القدم سكنها الإنسان، كما دلت على ذلك الحفريات والآثار، فقد شهدت أرضها مراحل التطور الإنساني الأولى في التحول من الرعي إلى الزراعة، فحسب علماء الآثار أن أول مدينة جرى تشيدها في التاريخ هي مدية (أريحا) الواقعة شرقي فلسطين وذلك سنة 8000 ق.م.

وأقدم اسم معروف لأرض فلسطين هو (أرض كنعان)؛ لأن أول سكنها والمعروف تاريخيًا هم (الكنعانيون)، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو 2500 ق.م. واسم فلسطين هو مشتق من اسم أقوام بحرية، قد تكون جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر ق.م، ووارد اسمها في النقوش المصرية باسم (بلست) وربما أضيفت النون بعد ذلك لجمع، وقد سكنوا المناطق بعد ذلك، ثم سكنوا المناطق الساحلية واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثر ميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم.

أما حدود أرض فلسطين الجغرافية المتعارف عليها فلم تحدّد بدقة إلاّ بعد زمن الاحتلال البريطاني لها وبالخصوص في الفترة ما بين (1920 – 1922م). وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبّر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجُّون التي تقع على بعد 18 كلم شمالي غرب مدينة جنين. ومهما كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءًا من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات التي تضيق وتتسع أن تغيّر شيئا من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم لحكم لا يهتز ما دام مسلمًا حقًا. وعلى كلٍّ؛ فإن مساحة فلسطين تبلغ 27009 كلم^2 وفق التقسيمات المعاصرة.

أما حدود أرض فلسطين الجغرافية المتعارف عليها فلم تحدّد بدقة إلاّ بعد زمن الاحتلال البريطاني لها وبالخصوص في الفترة ما بين (1920 – 1922م). وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبّر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجُّون التي تقع على بعد 18 كلم شمالي غرب مدينة جنين. ومهما كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءًا من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات التي تضيق وتتسع أن تغيّر شيئا من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم لحكم لا يهتز ما دام مسلمًا حقًا. وعلى كلٍّ؛ فإن مساحة فلسطين تبلغ 27009 كلم^2 وفق التقسيمات المعاصرة.

وبخصوص تضاريس فلسطين فإن مناخها هو مناخ البحر المتوسط، الذي يشجع على الاستقرار والإنتاج، ويمكن تقسيم سطحها إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، هي السهل الساحلي والمرتفعات الجبلية الوسطى والأخدود الأردني. والسهل الساحلي منطقة تركز غالب الفلسطينيين، حيث الموانئ ومراكز التجارة والنشاط الاقتصادي والزراعي. وتشمل المرتفعات الجبلية الوسطى جبال نابلس والخليل وهضبة النقب، وأعلى جبالها ارتفاعًا هو جبل (الجرمق) شمال فلسطين الذي يبلغ ارتفاعه 1207 أمتار، وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار، ورعي

الماشية. أما الأخدود الأردني، حيث يجري نهر الأردن ليصيب في البحر الميت، فهو يُعدُّ أكثر المناطق انخفاضًا عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر في وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو 400 متر تحت سطح البحر، وهي مناطق تميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها لنخيل والموز والخضروات.

المصادر المعتمدة:

- محسن محمد صالح، **القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، مركز الزيتونة للدراسات والاستثمارات، بيرزت لبنان، 2012.

- **قرآن كريم، الإسراء**، الآية 1.

- محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار الفكر، 1972، ج6.

- محمد عمارة، **القدس أمانة عمر في انتظار صلاح الدين**، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.